**الإمام البنا**

**والحقيقة القرآنية**

**بقلم / محمد عبد الحكيم خيالا... رحمه الله**

**تعرضت دعوة الإخوان المسلمين في مختلف أقطار العالم الاسلامى من كثير من الحكومات والانظمة منذ اعلنت اهدافها كاملة فى المؤتمر الخامس بالقاهرة سنة 1037 حتى الان الى محن متوالية قاسية فواجهت ومازالت تواجه فى كل لحظة لونا جديدا من ألوان الابتلاء ومحاولة جديدة من محاولات التصفية الجسدية والفكرية تصدر في مجموعها عن المخطط الاستعماري بشتى إشكاله الذي يهدف للتصدي لاى حركة إسلامية تعمل على تجسيد الإسلام في دولة**

**ولقد تكتلت وتركزت جهود هؤلاء الأعداء على مصر بالذات لانها رائدة هذه الحركة وقلبها النابض فإذا اصيب القلب اصيب معه باقى الاعضاء**

**ولكن هذه الحركة استعصت على كل المحاولات فباءت جميعها بالفشل وقد اثبت جميع المراقبين إن المحن لم تزد هذه الدعوة إلا عزما وثباتا بما يرونه كل يوم من طلائع جديدة أعمق فهما واصلب عودا كما أثبتت هذه المحن والابتلاءات إن مرتكزات هذه الدعوة سليمة قوية لأنها تقوم على قواعد ربانية بكل ماتحمله هذه العبارة من معاني الصلابة في الحق والصبر عند إلقاء ولو لم تكن كذلك لما حشد أعداء الإسلام جهودهم الضخمة للقضاء عليها فهل من سر لقوة هذه الدعوة وصلابتها ؟**

**السر في قرآن هذه الدعوة وبروز شخصية " البنا " التي عاشت الإسلام متحررا من كل ركام ران على فطرة المسلم برزت بالقرآن ولكنه قرآن متصل بالحياة في وقت كانت آياته مجرد مادة يستعملها أصحاب المدرسة الإصلاحية لبحوث تكتب بقصد الدفاع عن الإسلام في وجه المهاجمين له أو الطاعنين فيه من المستشرقين صليبيين وصهيونيين كما كانت آياته شواهد لشجب بعض العادات والتقاليد المخالفة لتقاليد الإسلام الصحيحة كما استعملت كطراز جمالي في التعبير وكمصدر لقوانين يقتضيها علم البلاغة العربية الأمر الذي حصر مشكلة العالم الاسلامى المتخلف في الميدان الفكري للحضارة وهكذا قضى هؤلاء المصلحون على مرحلة أساسية للتطور : هي المرحلة الروحية التي تتجاوب مع تحول الفرد وهو التحول الأول للمجتمع وبذلك قد فقدوا بهذا المنهج كل نسمة روحية واقتصر عملهم على إعداد طلاب علم فلسفة لا جنود عقيدة مجاهدين**

**وخلال عصر ساده هذا المنهج الجزئي القاصر جاء الإمام ألبنا في القرن الرابع عشر الهجري ومعه نزعة ابن تيمية في اشتراطه العلم والعمل معا فالعقل لا يدل عليه علم لم يعمل به صاحبه بل يدل عليه العلم الذي يعمل به مفسرا بذلك قوله تعالى ( لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ) إن فكرة ابن تيمية الجامعة قد برزت في العمل الاسلامى المعاصر مع الإمام البنا الذي لم يكن منفصلا عن واقع العالم الاسلامى ومن ثم تجدد أقة المسلم وفتحت على الخصب طريق**

**كيف أصبحت الآية القرآنية ذات حافز حي يملى على الفرد**

**سلوكه الجديد ويدفعه إلى العمل وكأنها تتنزل اللحظة**

**كيف تحول مفهوم الاخوة عند الامام البنا من عملية عاطفة**

**مجردة الى عملية " تأخ " فعال**

**وعادت قيمة الآية القرانية**

**لقد تجددت** **قيمة الاية القرانية بحركة الامام البناء فأصبحت قيمة حية ووسيلة فاعلة لتحويل الانسان وذلك باعتراف علماء ومفكرين معاصرين أتاحت لهم ظروف حياتهم ان يكونوا قريبين منه اعترفوا لهذا الامام بسلطان فريد فيه تصبح الاية لبقرانية ذات حافز حى يملى على الفرد سلوكه الجديد ويدفعه الى العمل بقوة لا تقاوم وأصبح القران فاعلا وكأنه يتنزل اللحظة**

**والواقع انه ليس هناك سر أن هذا الأستاذ الذي كان يعمل مدرسا للغة العربية والدين في الصفوف الابتدائية والذي كان يقوم في يوم واحد بخطبة الجمعة في القاهرة ويلقى دروس العصر في المنيا ثم يحاضر في أسيوط ويعود في نفس اليوم ليباشر شئون دعوته في المركز العام ويكتب مقالا للجريدة والذي كان ينتهز اى مناسبة ليذكر المسلمين ببعض تعاليم القران لم يكن يفسر القران واياته التفسير المطول بل يتركه لشيخ متخرج من الأزهر ذلك إن التفسير بمعناه التقليدي هو ميدان الكشف عن الحقائق اللغوية والكلامية والتاريخية انه حقل علمي فني والمفسر لا يقول إلا ماهو متفق مع ثقافته والحقيقة القرآنية في هذا الإطار بين الحياة والعلم لا تدفع إلى التغيير أو تحويل جذري للإنسان والمجتمع ( وليس المقصود من القران مجرد التلاوة أو التماس البركة وهو مبارك حقا ولكن بركته الكبرى في تدبره وتفهم معانيه ومقاصده ثم تحقيقها في الإعمال الدينية والدنيوية على السواء ومن لم يفعل ذلك أو اكتفى بمجرد التلاوة بغير تدبر ولا عمل فانه يخشى إن يحق عليه الوعيد الذي يرويه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه " يامعشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا وان أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا )**

**المصلحون ومنهج الإخوان المسلمين**

**وبوسعنا إن نعقد مقارنة بين التعليم في المدرسة الإصلاحية والمنهج التربوي الذي مارسته حركة الإخوان المسلمين فالتكافل الاسلامى مثلا يقوم على مفهوم الإخوة تراه في المدرسة الإصلاحية مجرد عاطفة بينما يتحول عند الإخوان المسلمين إلى عملية تآخ فعال وهى عمل جوهري يصبح به الانسان اخا مسلما ان هذا العمل البسيط هو فى الواقع تحول تام فى الانسان كالذى كان ينتقل به الانسان من المجتمع الجاهلى الى المجتمع الاسلامى ولتحقيق هذا التحول في الفرد كان تأثير الآية القرآنية عند الإمام البنا بنفس الشروط النفسية التى كانت فى عمل النبي صلى الله عليه وسلك وصحابته الكرام من قبل هذا العمل هو من نبع الحق وفيضه وهو السر الذي أشرق في مجتمع مكة الممزق قأخى بين العبد بلال وابى بكر السيد وجعلهما اخوين لا يحول بين روحيهما مع نور الله حائل كان السر كله عند هذا الامام فى تلاوته للاية كوحى يوحى لا كنص مكتوب فان جبريل حين ينزل من السماء لا ينزل الا لامر جلل والاية القرانية حين تنزل من السماء لا تتنزل لنحفظها فى مصحف مطبوع او كتاب منسق ولكن جبريل ينزل بها ليكون شأنها كما قال الله ( لتحكم بين الناس بما اراك الله ) فما اتعس قوما يقعد بهم ضعف الايمان او خمول الهمة من ان يستقيموا على مارأه الله لهم**

**فإذا كان الإمام البنا يهز سامعيه ويثيرهم فلانة لا يفسر القرآن بل يبعثه في الضمائر التي يهوها هوا عنيفا والقرآن لم يعد على هاتين الشفتين وثيقة باردة أو قانونا مكتوبا ولكنه انبثاق للكلام الالهى الحى ونور ياتى مباشرة من السماء وينير الطريق ويقود الى الحق ومنبع لنطاقه يمنح الارادة الانسانية قوة وثباتا انه ليس اله علم الكلام ولكنه الاله الفاعل المتجلى بعظمته الاله الذى كان يشعر به المسلمون الاول بذاته وصفاته الفاعلة ويحسون بوجوده بينهم فى بدر فهو الاله الذى ترتبط به مشاعر النفس كلها فالرجاء فيه " يرجون رحمته " واخوف منه " ويخافون عذابه " وهو مصدر الاشياء " الله يبدأ الخلق " ومصيرها**

**ميراث البنا خطة ربانية للعالم الاسلامى**

**للتخلص من حالة الضياع والفوضى**

**كلها اليه " ثم يعيده ثم اليه ترجعون " وهنا تبدو الحقيقة القرأنيةفى صورة مباشرة بوقعها فى الضمائر وفاعليتها فى الاشياء والناس ومفهوم الاية القرانية الذى تفاوت فى تجرده عند المدرسة الاصلاحية يصبح قيمة ملموسة حية انه التفاعل الحى للفكر والعمل اللذين يتجاخلان مندمجين فى تطور مجتمع يعى مايعمل ويعمل بما يعيه**

**ان التربية التى مارسها الامام البنا تجربة مع الكائن الانسانى لا تستوحى حرفية القرآن بل تغرف من منهل الوحى نفسه انها تجربة يصبح نتاجها شديد الحساسية تحت شكل " الحقيقة القرآنية الفاعلة " فى كل ميادين الحياة ذلك ان تربية القرآن شاملة لا تعنى مفهومها المالوف فهى لا تقتصر على المسجد او المعهد ولاتختص بالعبادة دون السلوك او تهتم بالفرد وتترك المجتمع او تعنى بالعقيدة وتهمل العمل انما تشمل كل جوانب النفس وتعمل فى كل ميادين الحياة**

**فلم يقف البنا بالفاعلية القرآنية عند حد إثارة الوجدان بل تحرك فى خطة لبناء الانسان والمجتمع من ثلاث مراحل تعريف وتكوين ثم تنفيذ وكان من الواضح لديه ان هدف دعوته فى مرحلة التعريف والتكوين ليس مجرد تجميع اكبر عدد ممكن من الافراد الذين يرتفع المد العاطفى فى نفوسهم بدرجة كافية ولكن كان الهدف هو اختيار الانصار الذين يصلحون لحمل اعباء هذه الدعوة لتكوين القاعدة القوية السليمة منه كجزء من مخطط الدعوة الشامل الذى يهدف الى ايجاد جيل من المؤمنين الفاهمين لتعاليم القرآن والذى يكون الطليعة المؤمنة التى تقود المسلمين لاقامة حمن الله فى الارض ان الشاب المصرى التائه فى صحراء التآمر والرذيلة الذى عاش فى خضم الصراعات الفكرية والسياسية فى هذه الاونة والذى كانت تحترق وطنيته فى لهيب الالفاظ البراقة للمطالبة بحقوقه قد تحددت له معالم المنهج الذى يجب ان يسلكه لبناء حياته واستطاع ان يطرد بقوة ايمانه وعقيدته ثمانين الف جندى انجليزى ويجبرهم على الجلاء عن القناة فقد علم ان معركته عقائديه بحتة فهى ليست فى مواجهة اسرائيل لانه لايؤمن بوجودها اصلا وليست معركته مع امريكا لانها يتسللان الى الداخل ارضنا ان معركته تنتسب الى عقيدة ترفض التبعية لهؤلاء جميعا ومن يتولهم منكم فإنهمنهم وحتى يبدأ معركة صادقة يجب رفض الولاية والتبعية من صدره ثم التصدى بكل قوة لمن يحاول ان يفرضها عليه**

**وهكذا اصبح البنا هو الامام والمرشد الذى يلمس نداؤه القلوب فيقود رجالا اخرين ويحولهم ليصبحوا بدورهم اخوانا جداا فكان منهم الشهيد سيد قطب الذى سقى تربة الدعوة بدمه وغذاها بفكره واطعمها من وقته واعصابه وراحته والذى كان لكتاباته التى تجاوبت مع الحركة ونبعت من محنتها فى ابراز واقعية المنهج الاسلامى وجديته وايجابيته ذلك انه عاش القرآن بنفس شروط الامام البنا باعتباره وحيا يوحى لا وثيقة مكتوبة فكانت كتاباته يرحمه الله بأسلوب الداعية وحرارته وصدقة لا بأسلوب الفيلسوف وخيالاته وجفاف عبارته وذلك من نبع القرآن وطول معايشته ودارسته له وأن القارىء له ليشعر ويحس فى كل كلمة منكلماته بالحيوية والحركة تنفجر من خلال العبارات وتضاعيف السطور كأنها دقات قلب أو نبضات عرق فهو الذى عبر عن هذه الحقيقة فى موضع من الظلال حيث قال " سنظل هنالك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن مالم نتمثل فى حسنا ونستحضر فى تصورنا ان هذا القرآن خوطبت ب هامه حية ذات وجود حقيقى ووجهت به احداث واقعية فى حياة هذه الامة ووجهت به حياة انسانية حقيقية فى هذه الارض واديرت به معركة ضخمة فى داخل النفس البشرية وفى وقعة الارض كذلك معركة تموج بالتطورات والانفعالات والاستجابات**

**لقد ولدت تربية البنا رضى الله عنه للنفوس التى تأثرت به طاقات انسانية ضخمة ساعدته على بعث الحركة فى حياة البلاد كلها وامكنته من انجاز مؤسسات واسعة ومتعددة حتى بدت وكانها مؤسسات دولة وليست كؤسسات فئة او جماعة لقد اسس بيوتا مالية لتوجيه راس المال وصحافة قوية لتوجيه الثقافة وصناعة قوية لخلق العمل وتوجيهه وجمعت رؤوس الاموال ثم وظفت بواسطة " الاخوان المسلمين " الذين اعطوا مثلا واقعيا لبناء القاعدتين الضروريتين لحياة الفرد على اساس منهج الاسلام " القاعدة الروحية والقاعدة المادية "**

**وانطلق المحرك العملاق بنور القرآن فى طول البلاد وعرضها ثم مضى الى ربه شهيدا مورثا كل عامل للاسلام اعظم محاولة لاعادة بناء المجتمع الاسلامى مستهدية بخطة بانية الاول اصبحت ملكا للعالم الاسلامى كله للتخلص من حالة الضياع والفوضى فوضى المذاهب والانظمة الدخيلة**